OPEN ACCESS
MA'ARIF-E-ISLAMI (AIOU)
ISSN (Print): 1992-8556
ISSN (Online): 2664-0171
https://mei.aiou.edu.pk

بلاغة المفردة القرآنية و سراعجازها عند الزركشی (دراسة دلالية)

Eloquence of the Quranic vocabulary and its miracles according to Al-Zarkashi

الدكتوره شبانه نذر

أستاذة مساعدة فی قسم اللغةالعربية، الجامعة الإسلامية، بهاولبور

الدكتور غلام أحمد

أستاذ مساعد،جامعة الكلية الحكومية، فيصل آباد

Abstract

Islam is a religion of peace. Since it is perfect, it is universal. The Prophet (peace be upon him) is likewise a blessing for the whole world. He gave the world a road maps for world peace, among them an invitation to remain in peace with the followers of different religions. Existing peacefully with non-Islamic beliefs is an essential Islamic principle that is clearly stated in many Qur'anic verses, and that has been practiced by Muslims throughout their history. Muslims are allowed to marry their women, to eat the animals they slaughter, to allow them to worship the way they choose, to allow them to serve the country they live in as citizens, and so on. When two parties agree, they co-operate and when the disagree, they do so with tolerance and justice, and also calls for an end to violence. This paper shall discuss the ways in which the pious elders have implemented the Qur'anic and Sunnaic principles for the establishment of world peace and how can these be effectively employed to solve the predicament of world peace.

Key words: co-existence, peace, religions, tolerance, justice.

المدخل

أن للفظة القرآنية جانبا كبيرا من الأهمية فی سمو التعبير القرآنی، ونظرا لما امتازت به اللفظة القرآنية من ميزات، فقد أفرد لها الكتاب من لأدباء و العلماء من اللغويين بصفة عامة، والمهتمون بالدراسات القرآنية بصفة خاصة العديد من البحوث، والمؤلفات عامة، والمهتمون بالدراسات القرآنية بصفة خاصة العديد من البحوث، والمؤلفاتر، فوجدوها ذات خصوصية مميزة، وذات طابع فريد، ذلک أن اللفظة القرآنية ذات مدلول واضح و محدد، بحيث تعتبر مصطلحاله شكل ومضمون ثابتان، و متفق عليهما، وفی الوقت نفسه، فان تكرار الفظة

القرآنية يجعلها تحمل معنى جديدا بالنسبة للسياق الذى وردت فيه، وبالتالى فالمفردة القرآنية(متعددة المواضع و ليست مكرره فهى ليست مجرد حجر فى مجرد بناءٍ وانما هى خلية فى بناء عضوى صاعد)-١

ؤمن هنا فقد تلقي البلاغيون الكلمة القرآنية(بكثير من الانجذاب الروحى، والعقلى، لأنهم أدركوا ماتختزنه من عجيب التأليف، وبديع التصوير، وعمق التحليل فى المستويات كلها)-٢

ان الأصل فى جمالية اللفظة ما قام عليه الاستعمال ليدل بدقة متناهية على الوظيفة التى يؤديها، وهذا ماعبرعنه القرآن نفسه فى قوله تعالىٰ: (قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ)٣، فكلمة (آمَنَّا) لاتعبر بشكل دقيق عن المعنى المراد أصدق تعبير ولاتحمل المعنى الدقيق الذى يتصف به من نطق بها لذلك نهى الأعراب عن استعمالها، الأمر الذٰ يدل على أن للفظة القرآنية دورا ملحوظا فى الاعجاز وفى تحقيق فصاحة القرآن وبلاغته، وبيان عظمته، و ذلك لعدم قبوله لأى تحريف أو تغيير أو تبديل ذلك: لأن (أقل كلمة توضع فى غير موضعها تبدوا شاذة فى وضعها ولفظها وتناسق معناها مع العلم أن بعض كلماته تتعدد معانيها بتعدد مواقعها، وقد يصل هذا التعدد أحيانا الى أربعة و عشرين معنى)٤، وفى بعض الأحيان نجد القرآن يعبر عن المعنى الواحد بألفاظ بعضها أحسن من بعض و قد يعبر عنه بأفصح مايلائم الألفاظ بعضها من بعض مع استحضار معانى الجمل، واستحضار جميع ما يلائمها من الألفاظ، وهذا أمر متعذر على البشر فى أكثر الأحوال، ذلك لأن الانسان مهما كانت تقافته ومهما اتسعت معارفه تجعله لايستطيع ان يطوع ألفاظ اللغة لل ما يتصوره من دقائق المعانى، لحاق بكلمة هى دون خياله الخصيب، بيد أن القرآن الكريم لا يعجزه اطلاقا أن تكون الكللمة دوما فى مستوى المعنى المراد على أدق وجه، وفى أكمل صورة، وهذا سر اعجازه و آية من آيات بلاغتة وروعته-٥-

لقد كان نظر العلماء الى الكلمة القرآنية على أنها (كلمة نور انية ربانية قامت فى بناء جملة، قامت فى بناء سورة، قامت فى بناء آية، قامت فى بناء القرآن كله وكل بناء من هذه الأبنية المتصاعدة يأخذ من سابقه، ويعود عليه بفيض من عطائه وهذا يجعل الناظر فى المفردة القرآنية حالا مردتحلا، لايمل فى دائرة من دوائر السياق لا يرتحل منها الا الى أخرى يجمع منها فيضا من العطاء)-٦

ولما كانت الكلمة هى أساس النظر ولها دور ملحوظ فى الاعجاز، وتحقيق بلاغته فقد بدأ الزركشى بالحديث عنها اذ أخذ يفتش عن سر جمال التعبير فاهتدى الى أن ذلك انما يبدأ بالكلمة المفردة و دقة اختيار هو اووضعها الموضع المناسب الذٰ يليق بها يقول: (ومما يبعث على معرفة الاعجاز اختلاف المقامات

وذكر فى كل موضع ما يلائمه، ووضع الألفاظ فى كل موضع يليق بها و ان كانت مترادفة، حتى لو أبدل واحد منها بالأخر ذهبت تلك الطلاوة وفاتت تلك الحلاوة)۷-

وبلاغة المفردة القرآنية وسر اعجاز ها من وجهة نظر الزركشى متات من دقة اختيارها المتمثل بالآتى:

۱- ملاءمة المفردة للمقام و يأتى ذلک من خلال:

اختيار الألفاظ دون مرادفاتها-

العدول عن استعمال اللفظ-

۲- ملاءمة المفردة للسياق و يأتى ذلک من خلال:

دقة اختيار الفاصلة القرآنية-

جمع اللفظ و افراده-

الزيادة فى اللفظ-

أولا: ملاءمة المفردة للمقام

يرى بعض العلماء أن العامل الأساس فى اختيار المفردة القرآنية دون غيرها هو(ما تحققه اللفظة المختارة وما تعطيه من معانى ودلالات الى جنب الادلالة الأساسية التى قد تشترک فيها مع غيرها من المفردات وبذلک تكون المفردة المختارة قد أدت المعنى الأساس فى التعبير فضلا عما أوحت به ضمن الاطار السياقى نفسه، ومن هنا كانت استحالة تغيير أو استبدال هذه المفردة مع مايسمى مرادفتها ان كان هناک مرادف أصلا)،۸وهذا ما حاول الزركشى اثباته فى كتابه البرهان فى علوم القرآن اذيرى أن هناک ألفاظا عدها بعض علماء اللغة والمفسرين مترادفة ويمكن أن يحل بعضها محل الأخر، وقبل أن نتناول تلک الألفاظ نريد أن نقف أولا عند قضية مهمة طالما شغلت العلماء قديما و حديثا تلک هى قضية الترادف-

حيث تعد قضية الترادف من القضايا التى شغلت أرباب اللغة قديما وحديثا، فقد أولوها جل اهتمامه، وصدروا بها أوائل كتبهم، بين مؤيد و منكر لها، ويعد على بن عيسى الرمانى(ت۳۷۴ھ) أول من صرح بمصطلح الترادف فى كتابه (الألفاظ المترادفة أو المتقاربة فى المعنى)۹، ومن بعده ابن فارس(ت ۳۹۵ھ)الذى أورد لفظ الترادف صراحة فى كتابه (الصاحبى)۱۰، وما قبل ذلک فان هذا المصطلح لم يرد صراحة فى مصنفات الأقدمين، ولم يكن معروفا لديهم آنذالک بهذه التسمية(وانما كان يعرف بتسميات عبرت عن هذاه الظاهرة تعبيرا جماليا)۱۱، وقد عرف الترادف فى اللغه بأنه (ركوب أحد خلف أخر)، وهو مأخوذ من الردف، وهو كل ما يتبع الشئى، فكل شئى يتبع شيئا فهو ردفه، واذا تتابع شئى خلف شئى فهو الترادف، والجمع الردافى)۱۲-

أما فى الاصطلاح: فعرفه بعض علماء اللغة بأنه(دلالة عدة كلمات مختلفة، ومنفرة على المسمى الواحد، والمعنى الواحد دلالة واحدة، ومثلواله بأسماء السيف، كالصارم، والمهند، والحسام)١٣-

وعلماء اللغة على اختلاف واسع حول وقوع الترادف ووجوده بين ألفاظ اللغة-

الترادف بين الاثبات والانكار

لقد اختلف العلاءء كما أشرنا فى بداية هذا المبحث اختلافا و اسعا فى موضوع وقوع الترادف بين ألفاظ اللغة، ولقد أدى هذا الاختلاف الى وجود فريقين، فريق يقول بوجود الترادف، وآخر منكر لوجوده هذه الظاهرة بين ألفاظ العربية، وسنحاول فى هذه الصفحات ان نبين وجهة نظر الفريقين و موقف الزركشى من هذه الظاهرة-

موقف الفريق الأول

يرى هذا الفريق أن هناك كلمات مترادفة تؤدى معنى واحدا تاما، ولم تات فى العربية عبثا، وانما جاءت لأغراض و مقاصد، واستدلوا على ذلك بأنه لو كان لكل لفظة معنى غير الأخرى لما أمكن أن نعبر عن الشئى بغير عبارتة، وذلك أنا نقول: فى (لاريب فيه) لاشك فيه، فلو كان الريب غير الشك لكانت العبارة عن معنى الريب بالشك خطا١٤

ومن أبرذ القائلين بوجود الترادف قديما قطرب(٢٠٦هـ) و الفخر الرازى (ت ٦٠٦هـ) ، والتاج السبكى وابن خالويه الذى يعد أبرزهم ف٩ى القول بوجوده الترادف فهو الذى أثبت أن للسيف أسماء كثرية مترادفة، وقصته مع أبى على الفارسى فى مجلس سيف الدولة مشهورة، اذ يروى أن الامام اللغوى ابن خالويه قال فى مجلس سيف الدولة بحلب: أحفظ للسيف خمسين اسما ، وكان أبو على الفارسى حاضرا، فتبسم وقال لا أحفظ له الااسما واحدا، وهو السيف، ولما سأله ابن خالويه فأين المهند، والصارم، والقضيب، والحسام، وكذا، وكذا --- الخ؟ أجاب أبو على الفارسى: هذه صفات، وكأن الشيخ لايفرق بين الاسم والصفة١٥

الفريق الثانى

لقد أدت مبالغة الفريق الأول الذى أثبت الترادف، وتفاخرهم بذلك الى ظهور فريق من العلماء أنكر وجود الترادف ورفضه رفضا تاما، وجعل الاسم واحدا، وما بعده صفات؛ وانطلق أصحاب هذا الرأى من مبدأ أن اللغة توقيفية، وابالتالى فلا وجود للترادف بن ألفاظ اللغة، واستدلوا على ذلك بأن الشارع حكيم، ومن العبث أن يأتى الترادف الا ولكل كلمة دلالة خاصة، فاذا سلمنا بتلك الدلالات المتعددة فلا ترادف، ومن أبرز القائلين بهذا الرأى فى القديم أبو منصور الثعالبى (ت ٤٣٠هـ) فى كتابه (فقه اللغة) والامام اللغوى أبو هلال العسكرى (ت ٣٩٠هـ) الذى ألف كتابا أسماه الفروق فى اللغة، وجعل الباب الأول منه خاصا (بالابانة عن كون اختلاف العبارات

والأسماء موجبا لاختلاف المعانی فی کل لغة، والقول فی الدلاة علی الفروق بینهما)١٦، وقد صرح بانکار الترادف اذ قال(الشاهد علی أن اختلاف العبارات و الأسماء یوجب اختلاف المعانی أن الاسم کلمة تدل علی معنی دلالة الاشارة، واذا أشیر الی الشئ مرة واحدة فعرف، فالاشارة الیه ثانیة وثالثة غیر مفیدة، وواضع اللغة حکیم لا یأتی فیها بما لا یفید، فان أشیر منه فی الثانی و الثالث الی خلاف ما ٔشیر فی الأول کان ذلک صوابا فهذا یدل علی أن کل اسمین یجریان علی معنی من المعانی وعین من الأعیان فی فی لغة واحدة فان کل واحد منهما یقتضی خلاف ما یقتضیه الأخر، والا لکان الثانی فضلا لا یحتاج الیه---)١٧-

وممن أنکر وجود الترادف أحمد بن فارس (ت ٣٩٠هـ)، فی کتابه الصاحبی فی فقه اللغة، والامام الترمذی (ت ٢٧٩هـ) الذی ألف کتابا أسماه (الفروق و منع الترادف) وجعله خاصا فی بیان الفروق بین الألفاظ القرآنیة المتقاربة، وکذلک فی کتابه (تحصیل نظائر القرآن)١٨-

أما فی العصر الحدیث فمن أبرز القائلین بعدم وقوع الترادف فی ألفاظ اللغة، مصطفی صادق الرافعی فی کتابه (اعجاز القرآن و البلاغة النبویة) اذ أنکر فیه وجود الترادف و رأی أن القرآن الکریم یتأنق فی اختیار ألفاظه، ولما بین الألفاظ من فروق دقیقة فی دلالتها یستعمل کلا حیث یؤدی معناه فی دقة فائقة نکاد بها نؤمن؛ بأن هذا لمکان کأنما خلقت له تللک الکمة بعینها، و أن کلمة أخری لا تستطیع توفیه المعنی الذی وفت به أختها، فکل لفظة وضعت لتؤدی نصیبها من المعنی أقوی أداء، لذلک لا نجد فی القرآن ترادفا)١٩، وهذا الرأی الذٔ قاله الرافعی هو الرا أی نفسه الذی ذهبت الیه بنت الشاطئی بعد ذلک فی کتابها (الاعجاز البیانی فی القرآن الکریم) والتی أرجعت حسم الخلاف بین العلماء فی مسالة الترادف الی الرجوع الی القرآن الکریم باعتباره کتاب العربیة الأکبر، وتوصلت الی ما توصل الیه الرافعی من أن (القرآن یستعمل اللفظ بدلالة معینة لا یمکن أن یؤدیها لفظ آخر فی المعنی الذی تحشد له المعاجم و کتب التفسیر عددا قل أو کثر من الألفاظ)-٢٠

موقف الزرکشی من الترادف

یعد الزرکشی من العلماء المنکرین لوقع الترادف بین ألفاظ اللغة، اذیری أن الألفاظ وزعت بحسب المقامات فلا یقوم مرادفها فیما استعمل فیه مقام الآخر،ومن هنا یری أنه یجب علی المفسر لآیات الذکر الحکیم مراعاة استعمال اللفظ والقطع بعدم الترادف ما أمکن، وعلل ذلک بان للتراکیب معنی غیر معنی الافراد، ولهذا فالکثیر من الأصولیین من وجهة نظره منعوا وقوع أحد المترادفین موقع الآخر فی الترکیب، و ان اتفقوا علی جوازه فی الافراد٢١

والمتامل فى كلام الزركشى السابق يجد أنه و ان كان من القائلين بعدم وقوع الترادف بين الألفاظ الا أن ر أيه يختلف عن رأى الفريقين السابقين، فاذا كان القائلون بوقوع الترادف فى العربية قد غالوا فيه و أسر فوا كثيرا (بزعمهم المئات أو الألوف من الأسماء المترادفة للمسمى الواحد فجانبوا الصواب كثيرا)٢٢-واذا كان القائلون بعدم وقوع الترادف فى العربية قد لغوه نهائيا فان الزركشى يرى أن الألفاظ فى حالة الافراد و قبل تركيبها فى الجملة يجمعها لفظ عام اذ أن لكل لفظ معنى اضافى خاص يكتسبه من خلال الركيب بمعنى أنه جاز لنا أن نفسر بعض الالفاظ بمعنى مرادف لها أو مشتركه معها فى العمنى العام فان (المرادف يقوم بلفظ الوسيط فى ايضاح مرادفه وليس هو المؤدى تمام المعنى والأداء المساوى من غير فرق بينهما)٢٣-

والبحث يرى أن ما ذهب اليه الزركشى هو الصواب وذلک لأن القائلين بوجود الترادف مطلقا سواء فى حالة الافراد أو التركيب يثبتون بقصد أو من غير قصد أنه يمكننا أن ننزع لفظا من القرآن ونضع مكانه غيره أو مايسمى مرادفه لأنه يحمل المعنى نفسه وبذلک يجوز أن نقول فى قوله تعالى: (قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ اِخْوَتِكَ فَيَكِيْدُوْا لَكَ كَيْدًاۖ اِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْاِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِيْنٌ)٢٤

(يابنى لا تقصص حلمک على اخوتک فيكيدوالک)، بوضع لفظ(الحلم) مكان لفظ (الرؤيا) دون أن يتغير المعنى وهذا محال، لأنه لو كان الأمر كما يزعمون من أن لفظ(الحلم) يحمل معنى(الرؤيا) من دون فرق بينهما فلماذا لميعبر سبحانه و تعالىٰ بلفظ (الحلم) بدلا من تعبيره بلفظ (الرؤيا) طالما وهو يحمل المعنى نفسه-

من هنا لا يمكننا القول بأن المعنى الواحد يمكن أن يعبر عنه بألفاظ عدة، و أن بعض الألفاظ قد تسد موقع البعض الآخر لأن الكلام (قد تختل فصاحته ومن هنا لا يجزى واحد منها فى موضعه عن الآخر ان أريد شرط الفصاحة لأن لكل لفظ صوت ربما أشبه موقعه من الكلام ومن طبيعة المعنى الذى هو فيه والذى تساق له الجملة)٢٥، وقد أشار القرآن الكريم نفسه الى ذلک، بل و أمر أن نتخير اللفظ الدقيق للتعبير عن المعنى أصدق و أدق تعبير كما أشرنا سابقا، فقال تعالى: ( )٢٦، فلو كان اللفظان متساويين فى الدلالة على المعنى الذى يقصدى المتكلم لما أمر الله، سبحانه و تعالى الأعراب أن يستعملوا اللفظ الذى يحمل المعنى المقصود حملا دقيقا اذ شتان مابين معنى اللفظين من اختلاف، وهذا ما أدركه العرب الخلص الذى نزل القرآن بين ظهر انيهم لذلک كانوا (ياخذون من بين الألفاظ أمسها بمعناه حتى تقوم بو اجبها من التوصيل الصادق)٢٧، والدليل على ذلک ما روى عن ابن هرمة أنه سمع أديبا ينشد قوله:

بالله ربک ان دخلت فقل لها   هذا ابن هرمة قائما بالباب

فقال له: لم أقل (قائما) أكنت أتصديق؟فقال: (قاعدا) فقال: أكنت أبول؟ قال فماذا؟ قال: واقفا وليتك علمت ما بين هذين من قدر اللفظ والمعنى، وذلک أن الوقوف لا يقتضى الدوام والثبات أما القيام فيقتضيهما۲۸- ومما سبق نستطيع أن نصل الى تعريف للترادف ربما يكون اقرب الى المعنى المقصود منه بأنه: (اشتراک لفظين أو أكثر فى المعنى العام فى حالة الافراد مع اشتمال كل لفظ على معنى خاص به و دقيق لايشاركه فيه غيره فى حالة التركيب)؛ والدليل على أن هذا التعريف هو الأقرب الى معنى الترادف هو ما أثبته الزركشى نفسه فى كتابه (البرهان) اذ تتبع ألفاظا قرآنية زعموها مترادفة فى سياق القرآن و بين الفروق الدقيقة بينها و أن لكل لفظ من هذه الألفاظ معنى خاص لا يحمله اللفظ المرادف له ومن هنا اقتضت البلاغة القرآنية استعماله و هذا مما يدل دلالة قاطعة على دقة اختيار القرآن الكريم لألفاظه الذى يعد سر من أسرار اعجازه البلاغى- ومن تلک الألفاظ: (الخوف، والخشية، البخل، والشح، المجى، والاتيان، السبيل و الطريق، النور، والضياء، القعود والجلوس، التمام االكما الخطف والتطف)

أولا الخوف والخشية

يرى الزركشى أن اللغويين يعتبرون (الخوف والخشية) بمعنى واحد ولا يكادون يفرقون بينهما على الرغم من أن الخشية أعلى من الخوف وهى أشد الخوف، واستدل على ذلک بالرجوع الى المعجم اللغوى لكل لفظ منهما اذ أن (الخشية) مأخوذ من قول العرب: شجرة خشية اذا كانت يابسة وذلک فوات بالكية) أما لفظ(الخوف) فانه مأخوذ من قول العرب (ناقة خوفا، اذا كان بها داء وذلک نقص، وليس بفوات)۲۹-

وذكر الزركشى فرقا آخر بين اللفظين هو أن لفظ (الخشية) تكون من عظم المخشى، و ان كان الخاشى قويا، و (الخوف) يكون من ضعف الخائف و ان كان المخوف أمرا يسيرا، واستدل على ذلک بدلالة حروف كل لفظ منهما اذ أن (الخاء والشين، والياء) فى تقاليبها تدل على العظمة، فالشيخ للسيد الكبير والخيش لما عظم من الكتاب، أما (الخاء والواو و الفاء) فانها فى تقاليبها تدل على الضعف۳۰-

ومن هنا فالقرآن كان دقيقا فى استعماله للفظين استمالا يدل على الدقة والتانق فى الاختيار بحيث جاء كل لفظ منهما ليدل على المعنى لاذٰ وضع للدلالة عليه فاخشية كما أشرنا سابقا تدل على القين الصادق بعظمة من نخشاه ومن هنا خصت الخشية بالله تعلاىٰ و خص الخوف بغيره ونها يقول الزركشى فى قوله تعالى:(وَالَّذِيْنَ يَصِلُوْنَ مَآ اَمَرَ اللّٰهُ بِهٖٓ اَنْ يُّوْصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُوْنَ سُوْۗءَ الْحِسَابِ)۳۱فان الخشية من الله لعظمته يخشاه كل أحد كيف كانت حاله، وسوء الحساب ربما لا يخافه من كان عالما بالحساب و حاسب نفسه قبل أن يحاسب وم،ن هنا قال تعالى:(وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَاۤبِّ وَالْاَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ اَلْوَانُهٗ ۗ كَذٰلِكَ ۗاِنَّمَا يَخْشَى اللّٰهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمٰۤؤُا ۗاِنَّ اللّٰهَ عَزِيْزٌ غَفُوْرٌ)۳۲ وقال لموسى: (وَاَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَاٰهَا تَهْتَزُّ كَاَنَّهَا جَاۤنٌّ وَّلّٰى مُدْبِرًا وَّلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوْسٰى لَا تَخَفْ ۖ اِنِّيْ لَا

يَخَافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُوْنَ)٣٣، أى لا يكون عندک من ضعف نفسک ما تخاف منه من فرعون٣٤- واذا جزمنا بصحة ما أورده الزر كشى من أن لفظ الخشية مكصوص بالله تعالى و لفظ الخوف مخصوص بغيره فبماذا نفسر قوله تعالى: (يَخَافُوْنَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُوْنَ مَا يُؤْمَرُوْنَ)٣٥؟ وهنا نجد أن الزركشى قد تنبه لمثل هذا السؤال و أجاب عليه بقوله:(ان الخاشى من الله بالنسبة الى عظمته الله ضعيف، ومن هنا يصح أن نقول: (يخشى ربه، لعظمته ويخاف ربه، أى لضعفه بالنسبة الى الله تعالى)٣٦وهم ضعفاء لا حاجة إلى بيان ضعفهم ذكر ما يدل على عظمة الله تعالى فقال: (يخشون ربهم) ولما ذكر الملائكة قال: من (فوقهم) والمراد فوقية بالعظمة٣٧-ومن خلال ما سبق نجد أن الزركشى يرى أن لفظ (الخشية) لا يساوى لفظ (الخوف) وليس مكافئا له فى معنا بشكل كامل كما تتكافا قطع النقود من فئة واحدة، و أن اللفظ يكتسب معناه من خلال السياق الذى يرد فيه و ربطه بما قلبه و ما بعده من الألفظ اذ أن (السياق هو الذى يعين الكلمة ، فالكمة توجد فى كل مرة تستعمل فيها فى جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا، والسياق هو الذى يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة على الرغم من المعانى المتنوعة التى وسعها ان تدل عليها)٣٨، و بهذا نجد أن القرآن يستعمل اللفظ الدقيق للدلالة على المعنى الدقيق الذى يتناسب مع السياق ورد فيه وهذا سر من أسرار اعجازه البلاغى-

ثانيا: جاء، وأتى

يرى الزركشى أن هناک فرقا بين (المجيئ والاتيان) اذ يرى ١٧ن لفظ (أتى) لا يساوى (جاء) فى المعنى و أن هناک فرقا بينهما ذلک أن لفظ (جاء) أثقل من (أتى) ومن هنا تجنب القرآن استعمال لفظ جاء بصيغه الأمر وذلک لأن اسكان الهمزة ثقيل لتحريک حروف المد واللين فى (جاء) وهنا يرجع الزركشى الأساس فى استحسان اللفظة أو استهجانها الى ما أسماه ابن الأثير (الرفق فى التعامل مع أدوات النطق عند الانسان مما يثقل كاهلها، وهو أمر يناقض الأساس الأول فى تلقى ما هو جميل (ذلک أن ادراک الجمال ينتفى معه أى احساس بالارهاق والتعب)٣٩-

ويد عونا الزركشى الى النظر فى كتاب الله لنرى كيف استعمل اللفظين بدلالتين مختلفتين اذ استعمل لفظ(جاء) فى التعبير عن الجواهر والاعيان وذلک فى قوله تعالى: (قَالُوْا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَآءَ بِهٖ حِمْلُ بَعِيْرٍ وَّاَنَا بِهٖ زَعِيْمٌ) ٤٠فاستعمل جاء لأن الصواع عين والمقصود هنا بالعين أى الشئ المحسوس وكذلک قوله تعالى: (وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوْا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُوْنَ عَلَى الَّذِيْنَ كَفَرُوْاۚ فَلَمَّا جَآءَهُمْ مَّا عَرَفُوْا كَفَرُوْا بِهٖۚ فَلَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَى الْكَافِرِيْنَ)٤١ ،فالكتاب عين و مثله قوله تعالى: (وَجِيْٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَۙ يَوْمَئِذٍ يَّتَذَكَّرُ

الْاِنْسَانُ وَاَنّٰى لَهُ الذِّكْرٰى)٤٢ ،لأنها عين، واستعمل القرآن (أتى) فى التعبير عن المعانى والأزمان والدليل على ذلک قوله تعالى: (قَالُوْا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوْا فِيْهِ يَمْتَرُوْنَ)٤٣-

فاستعمل أتى لان الحق لم يكن مرئيا٤٤ ، فان قيل ان القرآن قد استعمل جاء و أتى فى الدلالة على ما يدرک وذلک فى قوله تعالى: (حَتّٰٓى اِذَآ اَخَذَتِ الْاَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ اَهْلُهَآ اَنَّهُمْ قَادِرُوْنَ عَلَيْهَآ اَتَاهَآ اَمْرُنَا لَيْلًا اَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيْدًا كَاَنْ لَّمْ تَغْنَ بِالْاَمْسِ)٤٥فيجيب الزركشى بأن ذلک يؤيد صحة ما ذهب اليه، وذلک أن القرآن لما قال: (جاء) وهم ممن يرى الأشياء أى عيانا، ولم كان الزرع لا يبصر ولايرى قال: (أتاها) والدليل على ذلک أن لفظ جاء يعدى بالهمزة قال تعالى: (فَاَجَآءَهَا الْمَخَاضُ اِلٰى جِذْعِ النَّخْلَةِۚ قَالَتْ يٰا لَيْتَنِيْ مِتُّ قَبْلَ هٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَّنْسِيًّا)٤٦ولم يرد (أتاها) بمعنى (أتت) لأن المعنى لاستقلال له حتى يأتى بنفسه٤٧-

ثالثا: قعد وجلس

من الألفاظ التى يظن أنها مترادفة، وقد فرق أبو هلال العسكرى بينهما بأن الجلوس يكون من أسفل الى أعلا أما القعود فيكون من أعلا الى أسفل٤٨-

أما الزركشى فقد أورد فرقا أخر اذ يرى أن القعود لايكون معه لبثه، والجلوس لا يعتبر معه ذلک ولهذا تقول: (قواعد البيت) ولا نقول جو لسه لان مقصودنا مافيه من ثبات، كما أن اللفظ (قعد) كيف تقلبت حروفه دلت على اللبث فالقعيدة بقاء على حاله، والدقعاء للتراب الكثير الذى يبقى فى مسيل الماء وله لبث طويل-

أما الجيم واللام والسين فهى للحركة، منه السجل للكتاب، يطوى ولا يثبت عنده-٤٩ومن خلال ما سبق يصل الزركشى الى السر البلاغى الذى من اجله استعمل القرآن اللفظين (قعد وجلس) استعمالين مختلفين مم ايثبت عدم ترادفهما و ان لكل لفظ منهما معنى خاص به لا يشركه غيره فيقول:

حيث يقصد القرآن عدم الثبات و قصر المدة يستعمل (جلس) مثال ذلک قوله تعالى: (يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اِذَا قِيْلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوْا فِى الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوْا يَفْسَحِ اللّٰهُ لَكُمْۚ وَاِذَا قِيْلَ انْشُزُوْا فَانْشُزُوْا يَرْفَعِ اللّٰهُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مِنْكُمْۙ وَالَّذِيْنَ اُوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجٰتٍۚ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌ)٥٠ ، اشارة الى انه يجلس فيه زمانا يسيرا ليس بمقعد، فاذا طلب منكم التفسخ فافسحوا لأنه لا كلفة فيه لقصره، ومن هنا لا يقال قعيد الملوک، وانما يقال جليسهم، ولان مجالسة الملوک يستحب فيها التخفيف٥١-بهذا ينفى الزركشى وجود الترادف بينا لفظتى (القعود والجلوس) وامكانية استعمال أحدهما مكان الآخر، ويثبت بلاغة القرآن و اعجازه البلاغى فى دقة اختياره للمفردة القرآنية-

ان الزركشى حين يحاول أن يبرهن على عدم وجود الترادف بين هذه الألفاظ التى ظن بعض العلماء و اللغويون أنها مترادفة يحاول أن يستعين بثقافته اللغوية تارة و تارة أكرى يعتمد على آراء من سبقه من العلماء فيوردها

كما هى دون أن يضيف حرفا واحدا، ودون أن يشير الى المصدر الذى نقل عنه وهذا مما يؤخذ عليه كما أشرنا فى بداية هذا البحث نجد ذلک عند تفريقه بين لفظتى التمام والكمال اذ نجده يستدل على صحة ما ذهب اليه من أن التمام يختلف عن الكمال بقوله: والكمال يختلف عن التمام و الدليل على ذلک أن العطف يقتضى المغايرة فلو كان اللفظان متساويين لم ااستعمل القرآن حرف العطف بينهما، ويورد ر أى العسكرى برمته لتوضيح الفرق بينهما فيقول : قيل ان الاتمام لازالة نقصان الأصل والاكمال لازالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل، ولهذا كان قوله تعالى:(فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ اَيَّامٍ فِى الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ اِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذٰلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ اَهْلُهٗ حَاضِرِى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاعْلَمُوْٓا اَنَّ اللّٰهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ)٥٢ أحسن من تامة، فان التمام من العدد قد علم و انما بقى احتمال نقاص فى صفاتها، وقيل(تم) يشعر بحصول نقص قبله، وكمل لا يشعر بذلک، ومن هذا قولهم رجل كامل اذا جمع خصال الخير، ورجل تام اذا كان غير ناقص الطول-

وهذا الكلام برمته منقول من كتاب (الفروق اللغوية) ٥٣ ولم يزد عليه الزركشى حرفا واحدا، ولكن هذا لا يعنى التقليل من شأن الزركشى أو غمطه حقه فسواء كان الكلام له أو لغيره فحسبه أنه حاول أن يتبع النكات البيانية التى أثبت من خلالها بلاغة القرآن و سر اعجازه المتمثل باختياره الدقيق لمفرداته-

رابعا: الخطف والتخطف

من الألفاظ التى يقال بترادفها فى القرآن الكريم و أنكر ترادفها الزركشى لفظتى الخطف، والتخطف، اذ يرجع الحكم فى ذلک الى القرآن الكريم فهو الفيصل يقول الزركشى: (الخطف والتخطف لا يفرق بين معناهما الأديب مع أن الله عزوجل فرق بينهما اذ استعمل (خطف) بالكسر لما تكرر وذلک فى قوله تعالى (اِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَاَتْبَعَهٗ شِهَابٌ ثَاقِبٌ)٥٤ فان شغل الشيطان ذلک-واستعمل (الخطف) بالفتح للدلالة على وقوع الفعل بتكف وذلک فى قوله تعالى: (وَاذْكُرُوْٓا اِذْ اَنْتُمْ قَلِيْلٌ مُّسْتَضْعَفُوْنَ فِى الْاَرْضِ تَخَافُوْنَ اَنْ يَّتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَاٰوٰىكُمْ وَاَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهٖ وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ)٥٥ فان الناس لا يخطف الناس الا على تكلف وليس من شانها الخطف ٥٦،من هنا ينتفى الترادف بين اللفظين لان لكل لفظ منهما معنى خاص وضع للدلالة عليه-

خامسا: عمل،فعل

ان الزركشى ينوع من الأمثلة ذات الصلة بدقة اختيار المفردة القرآنية، ليثبت بان القرآن لا يختار الا الأدق من الألفاظ دائما فمن ذلک لفظ عمل، فعل اذ يرى الزركشى أن العمل أخص من الفعل، اذ أن كل عمل فعل ولا ينعكس، ومن هنا فقد جعل النحاة فى مقابلة الاسم لأنه أعم، وجعلوا العمل من الفعل ما كان مع امتداد لأنه (فعل) بكسر العين وباب (فعل) لما تكرر، واستدل على ذلک بقوله تعالى: (يَعْمَلُوْنَ لَهٗ مَا يَشَآءُ مِنْ مَّحَارِيْبَ

وَتَمَاثِيْلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُوْرٍ رَّاسِيَاتٍ ۚ اِعْمَلُوْٓا اٰلَ دَاوٗدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيْلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُوْرُ)٥٧، حيث كان فعلهم بزمان، وقوله تعالى: (يَخَافُوْنَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُوْنَ مَا يُؤْمَرُوْنَ)٥٨ حيث يأتون بما يؤمرون فى طرفة عين فينقلون المدن بأسرع من أن يقوم القائم من مكانه ٥٩، ولما كان القرآن الكريم لا يختار الا الأدق من الألفاظ و الأفصح فى كل موضع فقد استعمل لفظ (عمل) عندما يتطلب الحدث زمنا طويلا قوله تعالى: (اَوَلَمْ يَرَوْا اَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِّمَّا عَمِلَتْ اَيْدِيْنَآ اَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُوْنَ)٦٠، وقوله تعالى: (لِيَاْكُلُوْا مِنْ ثَمَرِهٖ ۙ وَمَا عَمِلَتْهُ اَيْدِيْهِمْ ۭ اَفَلَا يَشْكُرُوْنَ)٦١ ذلک لأن خلق الأنعام و الثمار وع بامتداد و يستغرق وقتا طويلا، فناسب لذلک استعمال (عمل) واستعمل القرآن (فعل) عندما يتطلب الحدث سرعة فى وقوعه و ذلک كقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ)٦٢، وقوله تعالى: (اَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ)٦٣، وقوله تعالى:(وَسَكَنتُمْ فِي مَسٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ)٦٤، فانها اهلاكات وقعت من غير بطء٦٥-

ويتضح من خلال ما سبق أن الزركشى ينكر وقوع الترادف فى القرآن الكريم وهو بذلک ينتصر للدقة القرآنية التى تشكل وجها مشرقا من وجوه الاعجاز القرآنى حيث الكلمة درة نادرة بل فريدة لايحل غيرها محلها أبدا على سعة قاموس العربية و ثراء أعماقها بلآلى الألفاظ ودرر المفردات-

ويمتد للفرق فى استعمال القرآن للألفاظ ودقة اختياره لها من وجهة نظر الذركشى الى ما يسمى الايحاء اللفظى للمفردة القرآنية وذلک بان يعدل القرآن الكريم عن استعمال لفظ الى استعمال لفظ آخر أدق منه فى التعبير و أكثر ايحاءاً ويعد الرمانى (ت ٣٨٤هـ) أول الذين التفتوا الى هذا الوجه البلاغى فنظر اليه باعتبار شكله العام (فى وضع اللفظة مكانها فى الجملة من حيث الدلالة على المعنى المراد ومن ثم يكون هذا المدى البعيد من التأثير فى النفوس نتيجة لذلک الأسلوب المتلائم فى ألفاظه و معانيه)٦٦يقول الرمانى عن فائدة التلاؤم بين الألفاظ ومعانيها: (والفائدة فى التلاؤم حسن الكلام فى السمع وسهولته فى اللفظ وتقبل المعنى فى النفس لما يرد عليها من حسن الصورة و طريقة الدلالة و مثل ذلک مثل قراءة الكتاب فى أحسن ما يكون من الخط والرق، وقراءته فى أقبح ما يكون من الحرف و الخط، فذلک متفاوت فى الصورة و ان كانت المعانى واحده)٦٧-

ثم يقول: (والتلاؤم فى التعديل من غير بعد شديد أو قرب شديد وذلک يظهر بسهولته على اللسان و حسنه فى الأسماع و تقبله فى الطباع فاذا انظاف الى ذلک حسن البيان فى صحة البرهان فى أعلى الطبقات ظهر الاعجاز للجيد الطباع البصير بجواهر الكلام)٦٨، ولعل العلماء الذين جاؤا بعد الرمانى و تحدثوا عن مشاكلة اللفظ للمعنى و حسن الملاءمة بينهما انا أر ادوا دقة اختيار اللفظ فى أداء معناه، فابن الأثير مثلا يرى أن من معايير جمال الكلمة وبلاغتها، ملاءمتها للسياق الذى وردت فيه ومن هنا فان بعض الألفاظ أحق من مرادفها فى أن تقع فى

جملة من الجمل يقول: (ومن الذى يؤتيه الله فطرة ناصعة حتى ينظر الى أسرار ما يستعمله من الألفاظ فيضعها فى موضعها، ومن عجيب ذلک أنک ترى لفظتين تدلان على معنى واحد وعدة واحدة، الا أنه لا يحسن استعمال هذه فى كل موضع تستعمل فيه تلک، بل يفرق بينهما فى مواضع السبک وهذا لا يدركه الا من دق فهمه وجل نظره)٦٩-

ان حسن الملاءمة بين اللفظ و المعنى لا يتأتى الا كلما كانت الكلمة (دقيقة ومعبرة لينة فى موضع اللين، وخشنة فى موضع الخشونة متداولة فى موطن التداول غريبة اذا دعا الأمر الى تحريک الأذهان لتلک الغرابة و فى هذا الحال يكون التلاؤم معتمدا على اختيار الكلمات لا من ناحية معانيها فقط و انما من ناحيتها الفنية أيضا بما توحى فى أداء معناه من أفكار حية ترتبط بها)٧٠، وهذا ما حوال الزركشى أن يثبته فى كتاب الله الخالد ويير هن عليه وينبه الى سر الاعجاز فيه من خلال الآيات القرآنية التى استعمل فيها القرآن بعض الألفاظ استعمالا يدل على دقته فى اختيار مفرداته ومن ذلک: اختيار القرآن الكريم للفظة (التراب) بدلا عن (الطين) فى قوله تعالى: (اِنَّ مَثَلَ عِيسٰى عِنْدَ اللّٰهِ كَمَثَلِ اٰدَمَ ؕ خَلَقَهٗ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهٗ كُنْ فَيَكُوْنُ)٧١، ولم يقل من (طين) كما أخبر به سبحانه وتعالى فى غير موضع من ذلک قوله تعالى: (اِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّيْ خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِيْنٍ)٧٢-

يرى الزركشى أن القرآن قد عدل عن استعمال (الطين) الذى هو مجموع الماء والتراب الى ذكر مجرد التراب لمعنى لطيف ذلک أنه (أى التراب) أدنى العنصرين و أكثفهما، لما كان المقصود مقابلة من ادعى فى المسيع الالهية أتى بما يصغر أمر خلقه عند من ادعى ذلک فلهذا كان التيان بلفظ التراب أمس فى المعنى من غيره من العناصر- ولما أراد سبحانه و تعلاىٰ الامتنان على بنى اسرائيل اخبرهم أن يخلق لهم من الطين كهيئة الطير تعظٰما لأمر ما يخلقه باذنه اذ أن المطلوب الاعتداد عليهم بخلقه ليعظموا قدر النعمة به-٧٣

ان الملاحظ على دراسة الزركشى للمفردة القرآنية أنه لم يقصر اهتمامه على المعنى المعجمى الذى يدرس المفردة من خارج سياق المعنى، وانما اهتم بدراسة المفردة من خلال علاقتها بالسياق وبالمعنى وبلادلالة أيضا-

ومن الألفاظ التى وردت فى القرآن الكريم لتلائم المعنى قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام: (يٰٓاَبَتِ اِنِّيْٓ اَخَافُ اَنْ يَّمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمٰنِ فَتَكُوْنَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا)٧٤ فاستعمل الرحمن ولم يستعمل (المنتقم) ولا (الجبار) وذلک كما يقول الزركشى أن الكلام لم يخلوا من حسن الأدب مع أبيه فاستعمل ألفاظا ليس فيها تصريح بأن العذاب لاحق ک (الخوف، والمس، وتنكيره للعذاب) فناسب ذلک ذكر الرحمن لما يحمل من دلالة على الرحمة والشفقة التى يحملها أبراهيم فى نفسه تجاه أبيه واستشهد الزركشى، بقول الشاعر:

فما يوجع الحرمان من كف حارم كما يوجع الحرمان من كف رازق ٧٥

ومثل ذلک قوله تعالی: علی لسان أولاد یعقوب: (قَالُوْا یٰٓاَبَانَآ اِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا یُوْسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَاَكَلَهُ الذِّئْبُ ۚ وَمَآ اَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صٰدِقِیْنَ)٧٦، ومعناه وما أنت مصدق لنا ولکن القرآن عدل عن الجناس فی صدر الآیة وکان المفروض أن یقول: (وما أنت بمصدق لنا ولو کنا صادقین) فانه یؤدی معنی الأولی مع زیادة ورعایة التجنیس ویرد الزرکشی علی ذلک بقوله ان فی مؤمن لنا من المعنی ما لیس فی مصدق وذلک لان الایمان یشتمل علی معنی التصدیق مع اعطاء الأمن، أما مصدق فلا یحمل معنی الأمن، ولما کان مقصود أولاد یعقوب التصدیق والأمن عدل القرآن عن الجناس واستعمل لفظة(مؤمن) التی تعبر عن المعنی اصدق تعبیر وهنا ینظهر انبهاره بالاعجاز القرآنی فیقول:(فتأمل هذه اللطائف القریبة والأسرار العجیبة)٧٧-

وصدق الزرکشیف فی ذلک فلیس هذا بعجیب فالقرآن کما قال عنه سبحانه وتعالی: (الٓرٰ ۚ كِتٰبٌ اُحْكِمَتْ اٰیٰتُهٗ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَّدُنْ حَكِیْمٍ خَبِیْرٍ)-٧٨

علی الرغم من أن اهتمام الزرکشی بایراد الشواهد القرآنیة التی تدل علی الدقة المتناهیة فی اختیار القرآن الکریم للمفردة القرآنیة بحیث تلائم معناها واهتمامه کذلک بذکر التعلیلات لاختیار اللفظ دون غیره من الألفاظ الا أنه فی بعض الأحیان یکتفی بایراد الشاهد من القراان ولا یعلل سر اختیار للقران للمفردة القرآنیة دون غیرها و انما یکتفی بقوله و هذا اللفظ أبلغ من قوله کذا ولم یذکر ما وجه البلاغة فیه من ذلک تعلیله لقوله تعالی: (وَاِنْ مِّنْ شَیْءٍ اِلَّا یُسَبِّحُ بِحَمْدِهٖ وَلٰكِنْ لَّا تَفْقَهُوْنَ تَسْبِیْحَهُمْ)٧٩ولم یقل لا تعلمون لما فی الفقه من الزیادة علی العلم ولم یذکر تلک الزیادة- علی أن مماذکره الزرکشی ونبه الیه و ان لم یصرح به هو أن من دقة اختیار المفردة القرآنیة ما یسمی بالایحاء اللفظی بمعنی أن القرآن فی بعض الأحیان یستعمل لفظا ربما توهم القاری أن هناک من الکلمات ما هو أحق بالذکر من الذی أتی به القرآن ولکن اذا أمعن النظر فسرعان ما یهتدی الی حکمة التنزیل ویثار القرآن لجنس معین من القول ویهتدی الی السر من وراء الاختیار من ذلک ما أورده الزرکشی من قوله تعالی علی لسان أخوة یوسف (قَالُوْا تَاللّٰهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ یُوْسُفَ حَتّٰی تَكُوْنَ حَرَضًا اَوْ تَكُوْنَ مِنَ الْهٰلِكِیْنَ)٨٠ فانه سبحانه وتعالی أتی بأغرب ألفاظ القسم بالنسبة الی أخواتها فان(والله) و (بالله) أکثر استعمالا واعرف من (تالله)، وسر ذلک کما یقول الزرکشی هو لما کان الفعل الذی جاور القسم اغرب الصیغ التی فی بابه فان(کان) و أخواتها أکثر استعمالا و اعرف عند العامة، من (تفتا) ولذلک أتی بعدها بأغرب ألفاظ الهلا بالنسبة وهی لفظ(حرض)٨١-

ان ما ذکره الزرکشی من تعلیل لاستعمال القرآن فی الآیة السابقة لفظین غریبین هما(تفتا)، (وحرض) یتناسب مع المعنی العام للآیة ذلک أن الموقف العام موقف استغراب ودهشة ففی الوقت الذ ظن أولاد یعقوب أن أباهم قدنسی یوسف ویتوقعون أنه عندما سمع بقصة أخیهم الأصغر وما حدث له عندما سرق صواع الملک فوجئوا

بأن أباهم لايتحزن عليه وانما يعاود ذكر حزنه على يوسف فجاءت الألفاظ)تفتا،وحرض) معبرة تعبيرا صادقا عما اصاب أولاد يعقوب من الدهشة والحيرة والاستغراب جراء موقف أبيهم وشدة حبه ليوسف فلفظ (تفتا)لا يستعمل الامع الجحد، ومنه قول الشاعر:

فما فتئت حتى كان غبارها سرادق يوم ذى رياح ترفع[٨٢]

أى مابرح، واستعمل القرآن لفظ (حرض) التى تحمل معنى السقم والمرض والحمق والرجوع الى أرذل العمر ٨٣، يقول امرؤ القيس:

أرى المرء والأذواد يصبح محرضا كاحراض بكر فى الديار مريض٨٤

ومن هنا نجد السر البلاغى الذى من أجله استعمل القرآن لفظتى (تفتأ، وحرض) دون سواهما من الألفاظ اذليس بوسع أى لفظ آخر أن يحمل هذه المعانى كلها التى حملها لفظتى (تفتا، وحرض) ، وهذا ما يميز لغة القرآن عن لغة البشر فالقرآن (فى كل شأن يتناوله من شئون القول يتخير له أشرف المواد و أمسها رحماً بالمعنى المراد، وأجمعها للشوارد و أقبلها للامتزاج، ويضع كل مثقال ذرة موضعها الذى هو أهق بها بحيث لا يجد المعنى فى لفظه الامرآته الناصعة، وصورته الكاملة)٨٥

الهوامش

١ - مصطفى الدباغ، وجوه من الاعجاز القرآنى، ٤٣

٢ - فاضل السامرائى ،بلاغة الكلمة فى التعبير القرآنى د ١٥

٣ - الحجرات ١٤

٤ - القرآن الكريم اعجازه و بلاغته و علومه د صالحة شرف ١٠٣

٥ - مناع القطان ،ينظر : مباحث فى اعجاز القرآن، ١٤٥

٦ - شذرات الذهب ٣٠

٧ - البرهان ج ٢، ١١٨

٨ - ابن الأثير، ضياء الدين ،جماليات المفردة القرآنية ١٦ د عيسى كعوب

٩ - محمد عبدالله العبيدى ،البحث الدلالى عند الشوكانى د، ٨١

١٠ - حاكم مالك لعيبى ،الترادف فى اللغة ٣٤

١١ - المصدر نفسه ٣٤

١٢ - لسان العرب ابن منظور ج ٩ مادة ردف

١٣ - الترادف فى اللغة حاكم لعيبى ٣٢

١٤ - ينظر: الصاحبى فى فقه اللغة، أحمد بن فارس(ت ٣٩٠هـ) ٩٨
١٥ - الاعجاز البيانى بنت الشاطى ١٩٥
١٦ - الفروق اللغوية ١٣
١٧ - المصدر نفسه ١٤-١٥
١٨ - صلاح الخالدى ،ينظر البيان فى اعجاز القرآن د ١٦٦
١٩ - فتحى عبدالقادر ،بلاغة القرآن فى أدب الرافعى د ٢٢٠
٢٠ - عائشة عبدالرحمن ،الاعجاز البيانى بنت الشاطئى د ١٩٨
٢١ - ينظر البرهان، ج ٤ ٧٨
٢٢ - الترادف فى اللغة حاكم لعيبى ٢٨٠
٢٣ - الترادف فى اللغة حاكم لعيبى ٢٨٠
٢٤ - يوسف ٥
٢٥ - اللغة فند ريس ٢٣٠
٢٦ - الحجرات ١٤
٢٧ - ضياء الدين ابن الأثير ،جماليات المفردة القرآنية د عيسى كعوب ١٧
٢٨ - الاعجاز البيانى ومسائل ابن لأزق ٢١٥
٢٩ - البرهان ج ٤، ٧٨
٣٠ - المصدر نفسه ج ٤، ٧٩
٣١ - الرعد ٢١
٣٢ - فاطر ٢٨
٣٣ - النمل ١٠
٣٤ - البرهان ج ٤، ٧٩
٣٥ - النحل ٥٠
٣٦ - البرهان ج ٤، ٧٩
٣٧ - المصدر نفسه
٣٨ - اللغة فندر يس ٢٣٠
٣٩ - ضياء الدين ابن الأثير ،جماليات الكلمة ، د عيسى كعوب ١٧
٤٠ - يوسف ٧٢
٤١ - البقرة ٨٩

٤٢ - الفجر ٢٣
٤٣ - الحجر ٦٣
٤٤ - البرهان ج ٤، ٨١
٤٥ - يونس من الآية ٢٤
٤٦ - مريم ٢٣
٤٧ - البرهان ج ٤، ٨١
٤٨ - الفروق اللغوية ٥١
٤٩ - البرهان ج ٤ ٨١
٥٠ - المجادلة ١١
٥١ - البرهان ج ٤، ٨٤
٥٢ - البقرة ١٩٦
٥٣ - ينظر البرهان ج٤، ٨٤، والفروق اللغوية ٦٥
٥٤ - الصافات ١٠
٥٥ - الأنفال ٢٦
٥٦ - البرهان ج ٤، ٨٤
٥٧ - سبا ١٣
٥٨ - النحل ٥٠
٥٩ - البرهان ج٤، ٨٤
٦٠ - يس ٧١
٦١ - يس ٣٥
٦٢ - سورة الفيل ١
٦٣ - الفجر ٦
٦٤ - ابراهيم ٦٥
٦٥ - البرهان ج٤ ،٨٥
٦٦ - البرهان ج٤، ٧٥
٦٧ - ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن ٨٨
٦٨ - المصدر نفسه
٦٩ - المثل السائر ج١، ١٥٧-١٥٨

۷۰ - صلاح الدين محمد عبدالتواب ،النقد الأدبى د ۱۳۰

۷۱ - آل عمران ۵۹

۷۲ - ص ۷۱

۷۳ - البرهان ج ۳، ۳۷۸

۷٤ - مريم ۴۵

۷۵ - البرهان ج۳، ۳۸۱

۷٦ - يوسف ۱۷

۷۷ - البرهان ج۳، ۳۷۱

۷۸ - هود ۱

۷۹ - الاسراء من الآية ۴۴

۸۰ - يوسف ۸۵

۸۱ - البرهان ج۳، ۳۷۸

۸۲ - تفسير القرطبى ج۹ ، ۲۲۰

۸۳ - تفسير الطبرى ج۳، ۴۰

۸٤ - تفسير القرطبى ج۹، ۲۲۱

۸۵ - النبا العظيم ۹۲